المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية 1866- 1933

مراد بن حمودة –طالب دكتوراه-
تحت إشراف الأستاذ الدكتور/محمد بوشنافي
جامعة سيدي بلعباس – الجزائر

Abstract :

In this article, we discuss the personality of Sheikh Abdelhalim Ben Smāya and his reformist activity in Algeria at the end of the nineteenth and early twentieth century's. This is the sign that spent his life between education in the school and the mosque, about four decades in the call to science and knowledge despite the French pressures. The role of Sheikh Abdelhalim Ben Smāya was also demonstrated in the leadership of the current rejection of compulsory recruitment and stand The Sheikh is one of the early reformers where he endeavored to link the bridges of scientific and cultural communication with the Islamic University and its poles. Sheikh Ben Smâïa left us some writings, although few because of his full focus on competition in education. He wrote in magazines and newspapers Algerian and Arab political, social and moral issues.

مقدمة:

عاشت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين انحطاطا فكريا وثقافيا كبيرا، بسبب السياسة الفرنسية التعسفية والاضطهاد الذي مارسته على الشعب في كل الجوانب منها الجانب التعليمي، فاختفت المراكز العلمية والمدارس وأصبح المعمرون هم

المسيطرون على مصدر القرار بينما أصبح الجزائري يعيش في بلاده على الهامش، فهاجرت أغلب العائلات الجزائرية الكبيرة ذات النفوذ المالي والعلمي، وانتشر العلماء الجزائريون في أقطار المجاورة مثل تونس والمغرب وحتى المشرق العربي سواء كانت هذه الهجرة طوعية أو إجبارية من خلال النفي من قبل السلطات الفرنسية، فاختل التوازن في الجزائر وانتشر الجهل بين الجزائريين. لكن هناك فئة قليلة من العلماء قهرت الصعاب وتكيفت مع الأمور وبقيت تناضل وتجاهد في بلادها، وهم الذين سيقودون بوادر النهضة في الجزائر من بينهم الشيخ عبد الحليم بن سماية، الذي آثر البقاء في بلاده لتعليم شعبه وتثقيفهم، فيا ترى ما هو الدور الذي لعبه الشيخ عبد الحليم بن سماية؟ وكيف كان منهجه في اصلاح المجتمع الجزائري ؟ وما هو موقفه من فكر الجامعة الإسلامية ؟.

أ- مولده ونشأته:

هو عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة من آلبن سماية ولد في 15 جويلية 1866 بالعاصمة من عائلة مشهورة بالعلم والمعرفة[1]، تعتبر أسرة بن سماية من الأسر التركية العريقة بالعاصمة وتعود أصولها إلى مدينة أزمير التركية،ونشأ الطفل عبد الحليم في بيئة علمية فأبوه هو علي بن سماية رجل مثقف ثقافة عربية إسلامية، ويعتبر من علماء تلك الفترة حيث شغل منصب التدريس بالمساجد أمثال جامع السفير والجامع الجديد بالعاصمة، أما والدته فهناك اختلاف في نسبها فعبد الرحمن الجيلالي يقول عنها أنها خدوجة بنت أمير خوجة، وتدعى خديجة وخداوج من آل مصطفى بن الكبابطي آخر الذين تولوا الإفتاء على المذهب المالكي في عهد الأتراك العثمانيين، فهو يعتبر مصطفى بن الكبابطي جد عبد الحليم بن

سماية[2]، أما محمد علي دبوز في كتابه نهضة الجزائر الحديثة فيقول أن مصطفى بن الكبابطي ليس جد عبد الحليم بل هو جد والده علي بن سماية من أمه[3].

وبفضل البيئة الثقافية والعلمية المساعدة نشأ عبد الحليم نشأة إسلامية فاعتنى والده بتربيته وحبب إليه العلم، وعلى غرار كل أقرانه في تلك الفترة دخل عبد الحليم بن سماية منذ الصغر إلى الكتاتيب، فحفظ القرآن في فترة قصيرة[4]في كتاب بحي القصبة يعرف بجامع بالرقيسة أو ابن رقيصة، وكان ذلك على يد إمامه في تلك الفترة الشيخ حسن بوشاشية[5]. وعند الانتهاء من حفظ القرآن توجه طالب العلم إلى العلوم الأخرى، وبما أن والده يعتبر من علماء تلك الفترة فقد تولى هو بنفسه تدريس ابنه على الطرق الحديثة، والتي لا توجد في الجزائر حيث شاهدها هو بنفسه في رحلته مع جده الكبابطي إلى مصر، فأتقن في معهده العلوم العربية والشرعية كما علمه أبوه أولى طرق النجاح في العلم، وهي الاعتماد على نفسه في تحصيل العلم وعدم الاتكال على والده فقط ، فوجد في خزانة أبيه من الكتب النفيسة في اللغة والدين وفي الأدب والتاريخ والرياضيات، وكان والده يتولى عملية توجيهه في قراءة نفائس الكتب وهو ما سيجعله عالما ناضجا ذا فصاحة وبلاغة، وذا شخصية اجتماعية قوية غيورا على الدين والوطن[6].

اعتمد عبد الحليم بن سماية على الطريقة التقليدية في تحصيل العلم، وذلك بالبحث على طرق الأسانيد والإجازات، فتوجه في رحلة علمية ملازما مشايخ وقته وعلماء بلده في تلك الفترة مثل (الشيخ علي بن الحاج موسى[7]والشيخ محمد القزداري والشيخ علي ابن الحفاف[8]والشيخ ابن ظاهر الوتري المدني والشيخ قدور أباصوم والشيخ طاهر أقيطوس)، كما حضر دروس الشيخ محمد سعيد ابن زكري وغيرهم، فأخذ عن هؤلاء فنونا من العلم في اللغة

وآدابها وعلوم الشريعة وفنونها،كما أنه أتقن الحساب والفرائض على يد صهره الشيخ علي بن حمودة، وعلم الربع المجيب في الفلك والتوقيت ومواقف العضد كلاهما عن الشيخ أبو القاسم الحفناوي وعلم الإسطرلاب علي يد الأستاذ عارف بك(9).

يذكر لنا عبد القادر بن بدران الدمشقي أن بن سماية كان من بين تلامذته فقرأ عليه كتاب " المنهل الصافي "، ونحن لا نعلم متى توجه بن سماية إلى الشام أو مصر أو متى كان التواصل بين الشيخ وبين العالم بدران الدمشقي(10)سواء كان ذلك باللقاء الشخصي، فيها العديد من بلدان منها الجزائر، أو من خلال مراسلات تمت بينهما فقط(11). كما كان ابن سماية شغوفا بمعرفة الحكمة والفلسفة على طريقة قدماء الفلاسفة، مثل الفلسفة اليونانية حيث كان تأثره كبيرا بأرسطو ومقولاته، فقام يبحث عن أستاذ يعلمه هذا العلم فأشير إليه بعالم جليل مختص في هذا الميدان، والذي يعتبر صديقا لوالده وهو من علماء الجزائر المهاجرين والذين استقروا في تونس، إنه الشيخ محمد بن عيسى الجزائري، فقبله الشيخ كتلميذ له ونزل عنده ضيفا في تونس لمدة خمسة عشر يوما تفرغ فيها لإتقان هذا العلم، بالإضافة إلى ذلك فقد تتلمذ على يد الشيخ المكي بن عزوز المقيم في تونس أيضا، فاغتنم فرصة زيارته للجزائر، وبالتحديد لنواحي بسكرة وبوسعادة عند خاله أبو القاسم الحفناوي لكي يتتلمذ عنده، وبهذا نشأ ابن سماية وكون نفسه على يد شيوخ كثر صنعوا شخصيته، فأصبح عالما من علماء الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر.

تزوج ابن سماية في سن مبكرة -كان يبلغ واحدا وعشرين سنة- من المدعوة عائشة ابنة السيد محمد بن مصطفى غياطو قاضي المالكية بالعاصمة،، وهي عادة المجتمع الجزائري في تلك الفترة فقد كان الزواج المبكر السمة الغالبة فيه، أنجبت له ولدين هما سعد الدين ومصطفى

وأربع بنات وهن : (زاهية وسليمة وحنيفة وملكة). ولإعالة أسرته امتهن الشيخ ابن سماية في شبابه التجارة، فاكترى دكانا لبيع التبغ بحي باب الواد تجاه جامع علي بتشن، وبقي على هذه الحالة إلى غاية دعوته للتدريس في المدرسة الرسمية في يوم 4 ديسمبر 1896(12).

ب- منهجه في مجال التعليم :

1- التعليم في المدرسة :بعد أن ذاع صيته بين الناس وأصبح الكثير من الناس يحضر دروسه، قررت السلطات الفرنسية احتواء الشيخ بن سماية، وذلك من خلال دعوته إلى التدريس في المدرسة الحكومية، وهي سياسة تستعملها فرنسا لاحتواء جميع العلماء الذين تلمس فيهم الفطنة والغيرة على الوطن، وبدوره قبل ابن سماية التدريس في هذه المدرسة بسبب وجود عدد كبير من المسلمين بها، بالإضافة إلى تطبيقها نظاما عصريا في التعليم، فأدرك أن دوره يكون أكثر فاعلية وتأثير في الجيل الجديد في المدرسة أكثر من أن يكون خارجها فهم نخبة المستقبل، كما رأى أنه إذا لم يقبل بالوظيفة الرسمية فإن السلطات الفرنسية سوف تضيق عليه نشاطه، وبذلك يكون مراقبا ومستهدفا ولن يستطيع إذا توصيل رسالته إلى هذا المجتمع المغلوب على أمره، فانخرط فيها سنة 1896 وعمره أنذاك حوالي 30 سنة، وكان دور هذه المدرسة الحكومية تخريج الموظفين من القضاة والمترجمين قبل بناء المدرسة الثعالبية التي انتقل إلى التدريس فيها سنة 1905، وكانت هذه المدرسة تدرس باللغة العربية إلى أن قررت الحكومة الفرنسية إدخال اللغة الفرنسية ليصبح التدريس بها مزدوج اللغة وذلك سنة 1906(13)، فكان الشيخ بن سماية يدرس في القسم العادي مادة الأدب العربي وفي القسم العالي مادة المنطق والبيان والتفسير بالإضافة إلى الإنشاء الأدبي(14).

بدأ الشيخ أولى عملية الإصلاح بإدخال كتب جديدة في عملية التدريس ومنها دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وتلخيص المفتاح والاقتصاد في الاعتقاد وغيرها من الكتب، وهي من أجل الكتب المعترف بها عند المحققين، كما درس في القسم الرابع منها ألفية بن مالك بشرح بن عقيل أو شرح الأشموني والعقد الفريد أو نهج البلاغة، وبالقسم الخامس المفصل للزمخشري ورسالة التوحيد لمحمد عبده(15)، كما اشتهر بن سماية رفقة مدرسين آخرين أمثال عبد القادر المجاوي(16)في المدرسة وذاع صيتهما فأصبحت دروسهما محل متابعة من طرف عدد كبير من الطلبة وذات إقبال على المدرسة بعد أن كانت من قبل مهجورة، فبفضل هذين العالمين الجليلين اللذين بثا الحياة في هذه الدروس، بعدما حاول الاستعمار جعلها دروسا ميتة تتسم بالملل والنفور من قبل الطلبة، فأصبحت عكس ذلك بسبب براعتهما في إلقاء الدروس وفصاحتهما وشخصيتهما القوية، ومكث الشيخ في المدرسة إلى أن أصيب بمرض في أواخر عمره فأحيل على التقاعد(17).

واشتهر الشيخ بن سماية في الأوساط الفرنسية، فكان محل تقدير من قبل أساتذتها وإعجاب بعمله، فمدحه مدير الثعالبية في أول العام الدراسي سنة 1910 ووصفه بالمتفاني في عمله، ودروسه ذات نتائج مشرفة، وفي سنة 1925 مدحه كذلك مدير الثعالبية "سان كالبرو" إذ وصفه بالفصاحة والبلاغة وصاحب المعارف الواسعة، ونال الشيخ أكبر الأوسمة للمعلمين من طرف السلطات الفرنسية، ففي سنة 1910 نال الوسام العلمي التقديري الأول من إدارة المعارف الفرنسية، وفي سنة 1923 نال الوسام التقديري الثاني وهو العالي(18).

2- التدريس في المسجد :بالإضافة إلى ما سبق ذكره أسندت إلى الشيخ بن سماية خطة التدريس بالجامع الكبير في أكتوبر 1900 مكان والده المرحوم علي بن سماية، حيث استطاع

التوفيق بين الوظيفتين واجتهد في تنظيم الوقت، فخصص اثنا عشر ساعة للمسجد وأربعة عشر ساعة للمدرسة في الأسبوع، وكانت دروسه في المسجد تتمحور حول علوم اللغة والشريعة والمنطق، أما في الفقه وبـــما أنه كان حنفي المذهب فإن دروسه اعتمدت على كتب (الشرنبلالي والقدوري والطحطاوي وابن عابدين والنسفي)[19]، والشيء الملاحظ في عبد الحليم بن سماية أنه كان إذا استشاره أحد العامة حول كتب الفقه فإنه كان ينصحهم بقراءة رسالة أبي محمد بن زيد القيرواني المالكي رغم أنه حنفي المذهب، وسرد لنا أحد تلامذته وهو عبد الرحمان الجيلالي بعض الكتب التي كان الشيخ يقرؤها عليهم مثل ورقات إمام الحرمين في الأصول وتفسير سورة البقرة بالجواهر الحسان للثعالبي، كما يخبرنا عبد الرحمان الجيلالي أن دروس شيخه تميزت بالفصاحة والألفاظ الفخمة، ويرجع السبب حسبه إلى غزارته اللغوية بسبب مطالعته لمعجم لسان العرب ولا يستعمل العامية إلا نادرا في بعض النوادر والحكايات[20].

حاول بن سماية التوفيق بين شيئين هامين أولهما العمل في المدرسة لتكوين جيل من الشباب المثقف في المستقبل، وثانيا العمل في المسجد ومحاولة تقديم دروس في التفسير وشرح الأحاديث للعامة وذلك لجعل عامة الناس دائما مرتبطين بالدين الإسلامي، حيث تذكر بعض التقارير أن درسه في الجامع كان يتكون من درسين عام وخاص، والفئة الحاضرة تتكون من عمال المسجد وبعض الخواص من أعيان المدينة إضافة إلى طلبة القسم العالي من المدرسة الثعالبية، وزيادة على ذلك فالدرس الخاص يحضره أيضا تلاميذ السنة الأولى والتلاميذ الأحرار المرشحون لدخول المدرسة. وبما أن بن سماية عمل في المسجد والمدرسة وكلاهما كانا تحت وصاية السلطة الفرنسية ومراقبتها، فيوجد لدينا تقريرين يصفان لنا كيفية تدريس ابن سماية،

التقرير الأول لــويليام مارسي الذي يعود إلى سنة 1906 - 1907 والذي يصفه بفصاحة اللسان وحرية الفكر وسلامة اللغة، وأن مستوى درسه في المسجد يساوي مستوى درسه في المدرسة[21]، أما تقرير 1912 فيذكر أن دروس الشيخ تقام كل يوم من الساعة العاشرة إلى الحادية عشر ماعدا يومي الجمعة والسبت بالنسبة للدروس العامة، أما بالنسبة للدروس الخاصة فخصص لها يومي الثلاثاء والأربعاء من الساعة الرابعة إلى الخامسة، وتراوح عدد الحضور في الدروس العامة بين عشرة وستة وثلاثون شخص، وبالنسبة للدروس خاصة فكان يحضرها خمسة عشر شخص بشكل منتظم، وكانت المواد التي يدرسها الشيخ في الدروس العامة هي شرح الأحاديث وتفسير سور من القرآن، وبالنسبة للدروس الخاصة فمواد تدريسها هي نصوص من كتاب المستظرف ومن كتب الفوائد[22].

كما قدم الشيخ بن سماية دروسا كثيرة في الوعظ والإرشاد والتفسير في الجامع الكبير، فيذكر محمد الخضر حسين عند زيارته للجزائر سنة 1904 أنه اجتمع بالشيخ بن سماية وحضر دروسه في الجامع الكبير، منها تناوله مبحث صفة الكلام من كتاب الصغرى للسنوسي فوضح معناها وأقام عليها الحجة بصوت جهوري ولسان فصيح، وبعدها صلى بهم صلاة العشاء واستغرب الشيخ محمد الخضر أن بن سماية يجهر بتأمين، فسأله في ذلك فأخبره بن سماية أنه يتبع رواية المدنيين لترجحها بالحديث الصحيح، وفي الجامع الذي أسسه مصطفى بن الأكحل ختم الشيخ بن سماية كتاب التوحيد بسورة الإخلاص، بين فيها الشيخ كيف ينتزع منها العقائد الدينية وقد أعجب الشيخ محمد الخضر حسين بتفسير وطريقة تحليل بن سماية لدروسه[23].

ويمكن القول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية أدرك أن التربية والتعليم سواء في المدرسة أو المسجد لهما دور كبير لتوعية الشعب الجزائري، وذلك من خلال محاولة إنشاء جيل يحافظ على اللغة العربية والدين الإسلامي في المجتمع الجزائري ومحاربة المشاريع الفرنسية داخليا، يعني في المدارس التي أنشأتها السلطات الفرنسية، وأدرك الشيخ أن العلم هو السبيل الوحيد لتطور الشعوب وتحررها ولو بعد حين، أي محاولة صناعة جيل تكون له الكلمة فيما بعد وهو نفس المشروع الذي سوف تحاول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطبيقه فيما بعد، هذه السياسة لن تنجح إلا إذا كان صاحبها يملك القدرات على ذلك، فالشيخ عبد الحليم بن سماية كان يملك جميع الصفات ليكون مدرسا بارعا ومعلما فذا ومربيا ناجحا، فقد أحب عمله في المدرسة وكان لا يشعر بالسعادة إلا وهو بين تلاميذه يلقي عليهم دروسه.

تيقن الشيخ بن سماية أنه إذا أراد تطبيق مشروعه الإصلاحي عليه أن يكون في مستوى تطلعات تلاميذه فكان غزير المادة في الفنون التي يدرسها، يحضر في الموعد، يتسم بالفكاهة والحماس في دروسه، يحاول بذلك غرس الصفات الحسنة في تلاميذه والتربية الدينية وتكوين جيل من العلماء الصالحين ليحافظوا على الدين واللغة العربية، وإذا أحس في التلميذ أنه لن ينصر دينه حاول توجيهه بكل الطرق، وإذا يأس منه يعمل على فصله من المدرسة لأنه يرى بأن الدين لا يجوز أن يرفعه الفاسدون لأن فرنسا سوف تستغلهم أحسن استغلال باسم الدين فيما بعد، فكان يحاول تكوين علماء ذوي الشخصيات القوية حماة للدين والوطن لا أن يكونوا عبئا عليه، كما اتسم منهجه بالتطبيق إذا أحس أن تلاميذه لا يفهمون الدرس مثل دروس الموسيقى فكان يحضر معه الآلات الموسيقية ويطبق أمامهم[24].

1- تلاميذه :تخرج على يد الشيخ بن سماية العديد الطلبة الذين انتشروا في العمالات الثلاث الجزائرية والأقطار المغاربية فمنهم القضاة والمترجمين والعلماء الذين حملوا منهجه،(25)من بينهم العالم الجليل عبد الرحمن الجيلالي صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام إذ يفتخر أنه كان له الشرف التتلمذ على يده، أجازه في رواية صحيح الإمام البخاري متصلة السند المسلسل بشيوخ العلم والحديث على الطريقة السلفية (26)، كما لازمه في دروسه العالم الكبير والمدرس بالمدرسة الثعالبية أيضا محمد بن أبي شنب، ومن المغرب تتلمذ على يده العالم المحقق الشيخ أحمد بن محمد التجاني المترجم بالإدارة الفرنسية بالرباط حيث أثنى على أستاذه ووصفه بعالم الأتقياء وتقي العلماء بالقطر الجزائري(27).

ج- نشاط بن سماية في المجال السياسي و الاجتماعي:

يعتبر الشيخ عبد الحليم بن سماية من زعماء كتلة المحافظين التي كانت تضم العديد من الشخصيات سواء كانوا من العلماء والمحاربين القدماء وزعماء الدين وبعض الإقطاعيين والمرابطين، ومنهم من كان صحفيا أو ممثلين نيابيين معينين تعيينا أو دعاة لفكرة الجامعة الإسلامية، يدعون إلى التقدم والتسامح والتعليم رافضين للتجنس والتجنيد الإجباري والتغيير على الطريقة الغربية، وتمثل برنامج هذه الكتلة في : المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمعمرين، المساواة في الضرائب والاستفادة من الميزانية، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية، معارضة التجنيس والتجنيد العسكري الإجباري، إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات التعسفية، استرجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي، احترام العادات والتقاليد الجزائرية، نشر وإصلاح وسائل التعليم، عدم استعمال العنف، حرية الهجرة خاصة نحو المشرق(28) .

تزعم الشيخ بن سماية جماعة المعارضين الرافضين للتجنيد الإجباري رفقة عمر بن قدور الجزائري وعمر راسم فقد ربطوا مسألة التجنيد بالهوية الوطنية والدين الإسلامي، رفض الشيخ بن سماية تطبيق هذا القانون على الجزائريين وهدد بالهجرة إن طبقت فرنسا هذا القانون، حتى أنه باع منزله وجميع أغراضه لولا وقوف سكان المدينة في وجهه فعدلوه عن رأيه(29)، نشر عمر بن قدور الجزائري(30) في جريدة الحضارة فحوى الاجتماعات التي دارت حول التجنيد فيذكر أنه بعد العديد من النقاشات داخل المجلس البلدي، قدم رئيس المجلس البلدي لائحة الحكومة للأعضاء الستة المسلمين في المجلس ليبدوا رأيهم في مسألة التجنيد، فتحدث رئيسهم مصطفى بن الحاج موسى وأخبره أن المسألة في غاية الخطورة ولا يمكنهم إبداء رأيهم فيها بشكل صريح بل الرأي النهائي لأعيان المدينة، فقررت السلطات الفرنسية استدعاء أربعين رجلا من أعيان المسلمين في العاصمة لسماع أرائهم بكل صراحة أمام المجلس البلدي فكان من بينهم الشيخ عبد الحليم بن سماية.

وفي يوم الثلاثاء 25 جويلية 1911 في دار المجلس البلدي وبالتحديد داخل قاعة المفاوضات اجتمع المدعوون ، حيث حضره من الجانب الجزائري العديد من الأعيان من بينهم الشيخ بن سماية ومفتي الحنفية الشيخ محمد بوقندورة، ومن الجانب الفرنسي رئيس الجلسة دوغلان بالإضافة إلى كبار الضباط وحكامها وحضره كذلك جمهور غفير، بدأت الجلسة بكلمة افتتاحية لرئيسها تحدث فيها عن أهداف هذا الاجتماع وبأن الحكومة الفرنسية، تريد استشارة المجالس البلدية في أقطار الجزائرية في مسألة تجنيد أبناء المسلمين المراهقين تحت لوائها الحربي، ولما انهى كلمته قام الشيخ بن سماية من مكانه وتوجه إلى الجمهور وطلب منهم أن يسمحوا له بالكلام نيابة عنهم فوافق جميع الحاضرين، فبدأ الشيخ خطابه برفض التجنيد وذلك

لعدة أسباب حسب رأيه أهمها أن الموافقة على التجنيد يعني أن الجزائريين بصفة تلقائية لم يصبحوا مسلمين لأنه من الممكن أن يقاتلوا إخوانهم المسلمين، كما أنهم لا يستطيعون ممارسة شعائرهم الدينية بحرية وهم في الحرب مثل الصلاة والصوم، و قبولهم للتجنيد يعني القضاء على القومية الإسلامية واندماجهم في الأمة الفرنسية بصفة نهائية. حدثت بعض الفوضى بسبب أولئك الذين أرادوا تمرير مشروع التجنيد من المتفرنجين والداعين لسياسة الإدماج والتجنيس، لكن الشيخ وقف لهم بالمرصاد ووصفهم بمعاشر الخشب المسندة، ولما أتم الشيخ كلامه صاح جميع الحاضرين على أنهم موافقون على رأيه بما في ذلك مفتي الحنفية(31).

كما شارك الشيخ عبد الحليم بن سماية في المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد في الجزائر سنة 1905 وقدم محاضرة بعنوان فلسفة الإسلام تحدث فيها عن وضع الإسلام. ومن بين الطرق التي كان يتبعها بن سماية هي مناظرته للنصارى واليهود بما أنه كان يتقن اللغة الفرنسية والعبرانية كذلك، بحيث يروي لنا عبد الرحمان الجيلالي قصة وقعت للشيخ بن سماية مع حبر من أحبار اليهود حول إثبات تبشير اليهود بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فأنكرها اليهودي، فقرأ عليه أدلة من كتبهم منها عبارة تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أشهر كتبهم وهو كتاب ميلاخيم والعبارة هي (وهمليخهايا هو بمركبة نوخح ارم) وهذا الكتاب ينسبه اليهود لليسع عليه السلام، وهاته كانت طريقة بن سماية في مناظرة اليهود، أما النصارى فكان يستدل لهم بكتاب (بارنابا) (32).

شارك الشيخ بن سماية في العديد من اللقاءات وتواصل مع العديد من العلماء سواء في القطر الجزائري أو خارجه، حيث يروي لنا الشيخ محمد الخضر حسين أنه زار الجزائر سنة 1904 إذ يقول أنه التقى بالعديد من علماء القطر الجزائري خلال رحلته من تونس إلى

الجزائر العاصمة برا من خلال مروره بالعديد من المدن الجزائرية وتواصله مع علمائها إلى غاية وصوله إلى العاصمة، وهناك التقى العديد من علمائها أمثال عبد القادر المجاوي ومصطفى خوجة، وكانت له العديد من الاجتماعات معهم سواء كان لقاءا فرديا أو جماعيا من خلال سهرات ليلية تناولوا فيها العديد من المسائل الفقهية تناقشوا فيها، سنذكر منها اللقاءات التي جمعته بالشيخ بن سماية أو التجمعات التي حضر فيها فقط خارج الجامع لأننا ذكرناه في عنصر التدريس في الجامع، وأعجب الشيخ محمد الخضر حسين كثيرا بعلم بن سماية حيث وصفه بالعالم الرباني صافي السريرة ذو أسلوب متمكن في الخطابة.

في اليوم الثاني من زيارة الشيخ محمد الخضر للجزائر دعاه الشيخ بن سماية إلى مترله و تناقشا في العديد من القضايا الدينية والتربوية لمدة ست ساعات، من بينها قضية خصال المدرس أي كيف يكون ناجحا بالنقد والتحليل وليس مجرد ناقل للمعلومات، هكذا كانت رؤية الشيخين للمدرس الناجح، تناولا كذلك الكثير من المسائل الفقهية وأبدى كل عالم رأيه فيها. واجتمع أيضا الشيخ عبد الحليم مع جماعة من العلماء بمناسبة زيارة محمد الخضر حسين إلى مترل مصطفى بن الأكحل، وحضر هذه المأدبة عبد القادر المجاوي ومحمد بن مصطفى خوجة والشيخ بوقندورة، وشهد هذا المجمع العلمي طرح العديد من المسائل الدينية والفقهية تناقش فيها الحاضرون بالأدلة والبراهين، فكان لكل عالم منهم رأي فيها منها مسألة الحلف واشتراط الولي في عقد النكاح بالنسبة للمرأة(33).

ركز بن سماية على شيئين في دعوته الإصلاحية إذا تسمك بهما المجتمع فسيكون التطور حليفهم أولا الاهتمام بالتربية خاصة تربية الأولاد باعتبارهم الجيل الصاعد حيث يحث الأولياء على متابعة أولادهم وذلك بجعل حصة من الزمان يتمكن فيها من محادثتهم ويقول "

العاقل للعاقل لا محادثة احتقار كما يفعله كثير من الكبار لأن ذلك مميت لقرايتهم وموقف لتقدمهم " ويقوم الأب بالاستماع لانشغالاتهم وذلك من أجل شرح صدورهم ويذكرهم بفضل السلوك الحسن لأنه بذلك يساهم في تطور شخصيتهم بهذه المعاملة والمتابعة باللطف واللين والنصح تنتج فردا صالحا أما من اتخذ الضرب بالعصا طريقا لتربية فإن الطفل سيزداد خشونة مما يؤدي فيما بعد نتائج وخيمة، لذلك طالب بن سماية معاملة الأطفال بلطف ومتابعة لأن ذلك سيؤدي إلى إنتاج جيل صالح مما سيؤدي إلى صلاح المجتمع برمته، وثانيا الاهتمام بالعلم لأنه أساس تطور المجتمعات وبالاعتماد على هذين العنصرين سيتمكن المجتمع الجزائري من الخروج من سباته وجهله ويتخلص من البدع والخرافات والآفات الاجتماعية التي لصقت به(34).

د-موقفه من الجامعة الإسلامية وزيارة محمد عبده :

الجامعة الإسلامية هي حركة تدعو إلى التضامن بين المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة لصد التوسع الأوربي في المناطق الإسلامية، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي والعودة إلى مذهب السلف بتمجيد العقل، ظهرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ومن زعمائها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وآخرون، أما على المستوى السياسي فقد تبنى هذه الحركة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني(35). يعتبر الشيخ عبد الحليم بن سماية من أكبر المتأثرين بفكر الجامعة الإسلامية والمتبنين لمبادئها، حيث كان يدعو الجزائريين إلى التجديد والإصلاح ومحاولة النهوض بالأمة الجزائرية بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، كما كان من أشد المعجبين بأحد زعمائها ألا وهو محمد عبده حتى أنه كان يدرس كتبه في مناهجه التعليمية في المساجد، ومواظبا على قراءة جريدة المنار

لصاحبها محمد رشيد رضا وهي لسان حال الجامعة الإسلامية حتى أنه طلب من محمد عبده عند زيارته للجزائر أن لا تسب جريدة المنار فرنسا لكي لا تمنع وصولها إليهم، ويعتبر الشيخ أول من درس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده في الجزائر تطبيقا لمنهجه التجديدي، وكان من أوائل من استقبلوه عند زيارته للجزائر ولازمه طوال أيام إقامته في الجزائر إلى أن غادرها متوجها نحو تونس[36].

أعجب محمد عبده بعلم وأخلاق الشيخ بن سماية حيث بعث إليه رسالة وهو في مدينة بلرم (باليرمو) يشكره على حفاوة الاستقبال، ويحثه على مواصلة إصلاح مجتمعه وهاته مقتطفات من هاته الرسالة " حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية حفظه الله لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك .... ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل وأدب، ولعرفت أنك ستكون إمام قومك، تهديهم أن شاء الله إلى سبل الرشاد ..." ويحثه كذلك على الاستعانة بالعلماء الأخرين أمثال مصطفى بن خوجة ومفتي الحنفية ومحاولة إصلاح المجتمع بطرق سلسة، كما دعاه في آخر الرسالة إلى عدم الخوض في المسائل السياسية التي ستقوده إلى السجون، وبذلك ينطفئ نوره على شعبه الذي هو بأمس الحاجة إليه " فأني لا أجد مندوحة عن التصريح بالتحذير من النظر في سياسة الحكومة، أو غيرها من الحكومات ومن الكلام في ذلك فإن هذا الموضوع كبير الخطر، قريب الضرر، إنما الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل، والجد في السعي ..."[37].

في إطار ذلك التواصل بين العالمين بعث الشيخ عبد الحليم بن سماية بقصيدة شعرية يمدح فيها الشيخ محمد عبده تتكون من خمسين بيت، نشر بعضا منها الشيخ محمد رشيد رضا في جريدته المنار هذه بعض الأبيات منها[38]:

فأنت لنا شمس تنير على المدى   أتى نورها من غير أن نـــتطلع
أدير بذكراك الذي منك قد مضى   فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا
يذكر فيك المجد والعلم والتقى   فأنظر من علياك عرشا مرفعا

وبعد حوالي عام من زيارة محمد عبده للجزائر بعث مفتي وهران الشيخ علي بن عبد الرحمن رسالة إلى الشيخ بن سماية يستطلعه فيها أن يكشف له عن رأيه في شخصية وعلم محمد عبده، فبعث بن سماية رسالة إلى مفتي وهران يكشف فيها عن رأيه في هذه الشخصية، حيث وصفه بالرجل صاحب الحنكة وتجارب الزمان والمطلع على شؤون الأمم والمتدبر والمتمسك بحبل الله في القرآن، كما أنه يتميز بقوة الإقناع وحججه القوية المستمدة من القرآن والسنة، كما يعترف بفضله على الإسلام والمسلمين وسعيه الدائم على حث الشعوب الإسلامية على التقدم والرقي والمجد ومنافسة الدول الكافرة، فبن سماية يبدو أنه كان متأثر كثيرا بشخصية محمد عبده لأنه يحمل نفس أفكاره الداعية للتجديد والتقدم(39).

ه-منهج بن سماية في مجال الكتابة الصحفية والــتأليف:

يبدو لنا أن بن سماية قد استأثرت به مهنة التعليم حيث ركز أغلب جهوده على تعليم أجيال و لم يهتم كثيرا بتأليف لكنه ترك لنا بعض من أثاره ولو أنها قليلة.

1- كتاباته في الصحافة :للشيخ عبد الحليم بن سماية العديد من المقالات في الصحف الجزائرية، منها مقالات أدبية واجتماعية دونها باسمه الحقيقي أو بأسماء مستعارة تحمل توقيعه نظرا لظروف تلك الفترة، فله العديد من المقالات بجريدة كوكب إفريقيا من بينها مقالة كتبها سنة 1911 حيث تتجلى لنا في هذه المقالة سعيه إلى التجديد والتحرر وذلك في رده على سؤال ورد إليه في الجريدة حيث كتب الشيخ مقالتين بعنوان الفرق بين الصوفية والمتصوفة، تحدث في المقالة

الأولى على التصوف وهاجم المتصوفين وهذه بعض المقتطفات من مقالته "التصوف هو التخلق بالأخلاق والتحقق بها حتى تكون حلا للنفس لا مجرد حكاية"[40]، وفي المقالة الثانية تحدث حول الصوفية حيث وصفهم أنهم قوم نفعوا وانتفعوا إذ علموا وتخلقوا بالأخلاق الحميدة لذلك صفوا من الأخلاق الذميمة وسموا بالصوفية وأنهم " علماء الحقيقة فهم ما جالسوا إلا أنسوا وما أرشدوا إلا هدوا وما عملوا إلا أخلصوا"[41].

وكتب أيضا في جريدة المغرب 1903- 1904 التي دعت إلى سلوك طريق العلم والمعرفة ففتحت أيديها للنخب المثقفة الجزائرية للكتابة فيها من بينهم الشيخ بن سماية الذي له فيها سلسلة من المقالات بعنوان "قوة الجاذبية"، فتحدث في هذه المقالات عن فضل العلم وضرورة الاهتمام به للنهوض بالأمة وحارب الأطراف التي تدعو لعدم اهتمام به، وأنه فيه مضرة وإفساد للعقل واستشهد بالقرآن والسنة والأبيات الشعرية التي تدعو للعلم والعمل وعدم الكسل[42]،وكتب أيضا في جريدة المبشر[43]وكتب في جريدة الإقدام للأمير خالد عدة مقالات افتتاحية سياسية واجتماعية وفي الأخلاق، ويذكر عبد الرحمن الجيلالي أن أستاذه له العديد من المقالات في الصحف التونسية مثل جريدتي الوزيــر والمشير [44]، كما أطلع الشيخ بن سماية العالم محمد الخضر على صدر مقالة أعجب بها كثيرا فوصفها بفصيحة المباني شريفة الموضوع كثيرا وطلب منه إرسالها له لنشرها في جريدة السعادة العظمى، ولكن لا نعرف إن كان الشيخ بن سماية بعث بهذه المقالة،كما طلب منه إرسال مقالات أخرى ليتم نشرها، لكي يتعرف العالم الإسلامي على فكر وأسلوب الشيخ بن سماية في الكتابة[45].

2-مؤلفات الشيخ بن سماية :

لم يترك لنا ابن سماية مؤلفات كثيرة نظرا لتفرغه الدائم لمهنة التدريس في المدرسة والجامع، بحيث كان يكرس كل وقته لتكوين الأجيال القادمة، لكنه استطاع بفضل حسن إدارته للوقت وتنظيمه أن يترك لنا بعض المؤلفات القليلة إلا أنها مفيدة، منها ما بقي ومنها من اندثر بفعل العديد من العوامل نذكر منها مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية بالحامة عنوانه "شرح الشيخ عبد الحليم بن سماية على مفهومة الشيخ المكي بن عزوز" يتكون من 52 ورقة [(46)]، ويذكر عبد الرحمان الجيلالي بعض المؤلفات الشيخ منها رسالة في أحكام الربا، كتبها ليرد على بعض العلماء الذين حللوا الربا في بعض الجرائد وهي تحت وعنوان " اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا "، وهي رسالة مطبوعة سنة 1911 تناول فيها أصول باب الربا وفروعه، كما دعا فيها علماء الإسلام قاطبة إلى تحمل مسؤولياتهم في مسائل الفتوى وعدم انسياقهم وراء الضغوطات،[(47)]وله أيضا كتاب حول "فلسفة الإسلام" الذي قدمه في مؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد بالجزائر سنة 1905 حيث يقول عنه عمر راسم "ولما فيه من الحقائق النيرة لم ترض الحكومة بطبعه".[(48)]

كما يذكر تلامذته أنهم كانوا يعرضون عليه بعض الشبهات التي كان يطرحها عليهم أساتذتهم في قسم الفلسفة بالكلية الجزائرية، فكان يرد عليهم بالأدلة والبراهين، وخلال تلك الفترة ألف رسالة جليلة في التوحيد والرد على شبه الملحدين وعد الكاتب بنشرها كاملة في مجلة التلميذ، لكن لا نعلم إن كانت نشرت أو لا،[(49)]كما له كتاب لم يكتمل في شرح الأحاديث القضائية، تحدث عنه عبد الرحمن الجيلالي بأن شيخه بدأ في شرح الأحاديث بدون أوراق في عدة مجالس وهم يدونون تلك الشروح على أن يكون تأليف مستقل لكنه انقطع

بسبب عدة مشاكل، كما نشرت للشيخ رسالة صغيرة الحجم بعنوان " الكتز المدفون والسر المكنون " طبعت بالجزائر على نفقة بعض الأفاضل، هاجم فيها الشيخ المتصوفين والطرقين المضللين فلم يعجب ذلك رجال الطرق، وخاصة منهم التجانية[(50)] المتعاونة مع الفرنسيين فحذروا في كتبهم ومجالسهم من مطالعتها بل سعوا إلى مصادرة جميع النسخ التي وقعت عليها أيديهم فأحرقوها لأنها كانت تضر بمصالحهم التي اكتسبوها[(51)].

و–اهتمامه بالفنون الأخرى :

للشيخ بن سماية عديد من الاهتمامات بالفنون والمعارف الأخرى فهو يمتاز بفصاحة أدبية مكنته من الإبداع في فن الخطابة والوعظ، ولم يهمل الشيخ بن سماية فن الشعر رغم تركيزه الكبير على التعليم ودروس الوعظ والإرشاد، حيث كان من حين إلى آخر يكتب أبياتا شعرية إذا اقتضى الأمر، فله العديد من الأبيات الشعرية في المدح تمتاز بأسلوبها الجيد كأن صاحبها شاعر متمكن، مثل القصيدة التي بعث بها إلى الشيخ محمد عبده يمدحه فيها والتي تتكون من خمسين بيت نشرها محمد رشيد رضا في مجلة المنار[(52)] :

فأنت لنا شمس تنير على المدى   أتى نورها من غير أن نـــتطلع
أدير بذكراك الذي منك قد مضى   فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا
يذكر فيك المجد والعلم والتقى   فأنظر من علياك عرشا مرفعا
وتلوى إلى تلك المجالس فكرتي   فتترك قلبي بالخيال ممتعا
محافل كان العلم فيها مجالسي   أسامر بدرا بالجلال تقنعا
فاسمع فصلا من حكيم و حكمة   إذا ما بدت خرت ذوي الزور ركعا

هاته الأبيات تدل على أن مترجمنا كان متمكنا من نظم الأبيات الشعرية، فلديه أسلوب بالإضافة إلى استعماله الصور الشعرية البارعة .

كان بن سماية مولعا بالموسيقى حيث يذكر أحد تلامذته وهو عبد الرحمن بن دالي، أنه خلال دراسته عند الشيخ بن سماية أحضر لهم آلة العود حيث أظهر لهم مهارة فائقة في عزف الألحان المتنوعة، وأراهم الفرق بينها وبين لهم أنواع الأوتار وأسماءها، كما أنه كان يعرف الألحان الأندلسية مثل عراق ومابة وزيدان وصيكة وغيرها من الألحان الأندلسية المتنوعة(53).

يعتبر الشيخ بن سماية من محبين للكتب وجامع للمخطوطات النفيسة، حيث ورث بعض الكتب على والده الشيخ علي بن سماية، والبعض آخر اشتراه من ماله الخاص إذ كان لا يسمع بكتاب إلا و يصل إليه، إما أن يشتريه أو يستنسخه،و كانت مكتبته تحتوي على آلاف الكتب والمخطوطات النفيسة المتنوعة، لكنها ضاعت كلها في آخر عمره حيث استغل بعض أشباه العلماء مرضه في الفترة الأخيرة، واستعاروا منه كتبا فسرقوها وهربت بعضها إلى باريس فضاعت مكتبة الشيخ التي كانت مليئة بأنفس الكتب(54).

ز– مرض الشيخ بن سماية ووفاته :

لقد عاش الشيخ بن سماية طورين في حياته، الطور الأول هو طور العطاء وتربية الأجيال، والطور الثاني عاشه في آخر عمره حيث أصيب بمرض عقلي وراثي سنة 1924 سببه حماسه الشديد وكرهه الدفين للاستعمار وجهاده العلمي الذي أرهقه عقليا، لأنه كان يحمل هم أمة في قلبه ويتحسر على ما يحدث للجزائر والمسلمين، وشفي الشيخ في البداية من هذا المرض لكن ما لبث أن عاد إليه من جديد سنة 1928، فأحيل على التقاعد وأعفته الثعالبية

من التدريس،[55]فأصبح الشيخ غير مبالي بنفسه ولا يلتفت إلى مظهره وسلوكه وحياته اليومية، فاتخذ لمركبه حصانا وسيفا وأخذ يتجول ما بين أرباض العاصمة وأحيائها، وتارة يسافر إلى المدن المجاورة مثل البليدة وشرشال والقليعة والمدية ولا يبالي أين أدركه الليل أو أين ينام أو حتى أين تطلع عليه الشمس، في هذه الفترة بدأ الشيخ بن سماية بإخراج مكبوتاته دون تردد- إذ يبدو أن الشيخ بن سماية كان من النوع الكتوم -وهي مكبوتات دفنها معه ولم يستطع البوح بها أو التعبير عنها لما كان مدرسا تحت إمرة السلطة الفرنسية، حيث وقعت له عدة حوادث عبر فيها على ما كان يدور في خاطره دون مبالاة أو خوف ويتحسر فيها على حال قومه من التخلف والجهل والاضطهاد الذين يعيشون فيه[56].

رغم مرض الشيخ إلا أنه كان يخوض في مواضيع الإصلاح الديني ونهضة الجزائر والدعوة إلى العلم التي كانت دائما تشغل باله، ووقعت للشيخ حادثتين عبر فيهما على ما يجول في خاطره بصراحة، الأولى أن جماعة من الشباب لقوا الشيخ فسألوه على حكم لبس الذهب بالنسبة للرجال، فقال لهم لا بأس بهم، فقالوا له أن الإسلام حرمه، فرد عليهم الشيخ صارخا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " الذهب و الحرير حلالان لنساء أمتي، محرمان على ذكورها " وأنتم لستم ذكورا، لستم رجالا"، فهو يوبخهم على أنهم رضوا بالاستعمار ولم يحاربوه، والحادثة الثانية أنه كان يتجول بفرسه في شوارع العاصمة فوصل إلى ساحة الحكومة، حيث تمثال القائد الذي غزا الجزائر – دي بورمون –والذي يحترمه الفرنسيين ويمنعون أي شخص يتقرب منه، فاقتحم الشيخ الساحة ووقف عند التمثال، فأفرغ حصان الشيخ فضلاته في الساحة، فجاء إليه الشرطي فأخبره أن فرسه لوث المكان وأنه ممنوع على الدواب دخول هذا المكان، فأشار الشيخ إلى تمثال وقال له : يا هذا إن فرسكم هذا واقف منذ مئة عام يطأ

على أكبادنا فصبرنا له، وأنت لم تصبر ربع ساعة على فرسي فأغرب عني" فما كان من الشرطي إلى أن انصرف، إن هذه التعابير تدل على الكبت الكبير الذي كان يعيشه الشيخ متحملا على نفسه ومتحسرا على مصير أمته فأفرغ ما كان في جعبته أواخر عمره(57).

وفي أواخر سنة 1932 وبحلول شهر رمضان، اجتمع أهل الحامة ببلكور الواقعة بالعاصمة، وتوجهوا إلى الشيخ بن سماية لكي يعقد لهم مجالسا دينية ليلية في الشهر الفضيل بجامع زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ويكون زمن الدرس بين العشائين فوافق الشيخ على طلبهم، وشرع في تدريس رسالة أبي زيد القيرواني من أول رمضان وذلك لمدة أربعة أيام، وفي اليوم الخامس أتى الشيخ كعادته ليقدم الدرس وفي أثناء ذلك شعر الشيخ بفتور، فالتف حوله عامة الناس وأسعفوه وأخذوه إلى منزله، وما إن رجع القوم من منزله حتى توفي الشيخ، وذلك ليلة الخميس يوم 2 جانفي 1933 الموافق ل 5 رمضان 1351 ودفن في مقبرة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي(58).

تأثرت العديد من الشخصيات بموت الشيخ بن سماية منها الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي رثاه في مجلة الشهاب حيث قال عنه أنه " عالم عامل، غيور على دينه ووطنه مخلصا لهما، قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية، فبث روحا طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها، فرحمه الله وجازاه عن العلم وخدمته واحترامه والاعتزاز به خيرا وعزى أهله وأهل العلم فيه خير العزاء "(59)، بالإضافة إلى ذلك بعث تلميذه في المغرب الأقصى أحمد بن محمد التجاني رسالة تعزية نشرت في مجلة التلميذ تحت عنوان " دمعة على فقيد الجزائر المسلمة "حيث وصفه تلميذه بعالم الأتقياء وتقي العلماء، كما ذكر في هذه الرسالة مناقب الشيخ من جهاده في الإصلاح وقوة فصاحته وبلاغته وجهاده في سبيل نشر العلم(60).

الخلاصة :

في الأخير و ما يمكننا أن نستخلصه من منهج الشيخ :

-أن بن سماية قضى حياته كاملة في التعليم أربعين سنة في التدريس، وركز كل جهوده في محاولة تنشئة أجيال، بحيث كان هدفه بناء جيل قادر على تحرير الجزائر فيما بعد، كما لم يهمل كبار السن حيث كان يقدم دروس وعظ وإرشاد في المساجد والتجمعات .

-اعتمد منهج بن سماية على الجانب التطبيقي بحيث كان يحاول تطبيق مناهجه قدر المستطاع لتوصيل الأفكار لتلاميذه مثل دروس الموسيقى حيث كان يجلب معه الآلات الموسيقية.

-يعتبر بن سماية من المصلحين الأوائل الذين أثروا المناهج التعليمية في المدرسة والمسجد حيث أدخل العديد من الكتب الجديدة ذات القيمة العلمية والمعترف بها، حيث درس دلال الإعجاز وأسرار البلاغة والعديد من الكتب الأخرى الجديدة، والتي أتت بثمارها فيما بعد فانتشر تلاميذه في العمالات الجزائرية الثلاث أو حتى في أقطار شمال إفريقيا .

-تبنى الشيخ بن سماية فكر الجامعة الإسلامية الداعي إلى التجديد والنهوض بالعالم الإسلامي، ويعتبر من أكبر الدعاة إليها في الجزائر، كما استقبل أحد زعمائها الشيخ محمد عبده بحفاوة .

-يعتبر الشيخ من زعماء كتلة المحافظين أمثال عبد القادر المجاوي و المولود بن الموهوب التي تبنت مذهب الإصلاح و التجديد على الطريقة الإسلامية الصحيحة.

-حارب الطرق الصوفية الضالة التي كانت تنشر البدع والخرافات، ودعاهم للعودة إلى منهج الإسلام الصحيح، حيث نشر العديد من المقالات يهاجم الطرقيين منها مقاله في جريدة كوكب إفريقيا أو كتابه التي التلف من طرق أتباع الطريقة التجانية.

الإحالات:

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 93.

2- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص-ص،403- 404.

3- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ج1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 107.

4-نفسه، ص 107.

5- مجلة التلميذ،صفحةمن حياةشهيدالعلموفقيدالاسلامالعلامةالأكبرالاستاذالشيخعبدالحليمبنسماية،السنة الثانية، ع 3-4،جانفي-فيفري 1933، ص 11 .

6- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 107- 108.

7- علي بن حاج موسى : علامة الجزائر شيخ الجماعة هو علي بن أحمد بن الحاج موسى بن عبد العزيز بن أحمد زروق بن الحسين ولد بعاصمة الجزائر سنة 1828 وهناك تعلم وأخذ القرآن على يد محمد بن تاتبيت ، وتتلمذ على يد والده ومصطفى بن الحاج أحمد الحرار الجزائري والمشرفي، واجازه العديد من علماء عصره، قدم دروسه ومواعظه في الزاوية الثعالبية،ومن مؤلفاته الدرر المتوقدة في بعض ما يتعلق بالاستعارة المرشحة، وربح التجارة فيما يتعلق بالزيارة، والعديد من المؤلفات الأخرى مدحه العديد من علماء عصره أمثال محمد بيرم الخامس وأبوالقاسم الحفناوي ومحمد المكي بن عزوز توفي سنة 1909 ودفن بالعاصمة. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 4، المصدر السابق، ص-ص،441- 447.

8- علي بن الحفاف : فقيه الجزائر وعالمها وخطيبها ولد سنة 1307 هـ أخذ العلوم علي يد القطب ابراهيم الرياحي، قال عنه محمد بيرم في كتابه صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار أنه من الأخيار الذين اجتمع بهم الذين يمتازون بالعلم والاخلاق،وأدركه الاستعمار في ريعان شبابه نصحه شيخه بالبقاء والجهاد على الهجرة، فالتحق بجيش الأمير عبد القادر فعينه كاتبه الخاص، كما ولي الافتاء بمدينة البليدة، من مؤلفاته الدقائق المفصلة في تحرير آية البسملة، ومنة المتعال في تكميل الاستدلال، وبهجة البسط والانس في شرح الكلمات الخمس توفي سنة 1890هـ.ينظر: أبوالقاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 160. أيضا ينظر: محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة و المطبوعة، ج 1، دار كرداده، المسيلة – الجزائر، 2013، ص- ص، 446- 447.

9- مجلة التلميذ، المصدر السابق، ص 12.

10- عبد القادر بن بدران الدمشقي : هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المشهور بابن بدران ولد سنة 1280 هــ بدومة تعلم مبادئ القراءة في بلدته، ثم هاجر في رحلة لطلب العلم تتلمذ على يد محمد بن عثمان الحنبلي المشهور بخطيب دوما، وفي دمشق أخذ العلم على يد عالمها شيخ الشام سليم بن ياسين العطار الشافعي، وأخذ عن العلامة محمد بن مصطفى الطنطاوي الأزهري، بالإضافة إلى الكثير من علماء عصره، كما يذكر أنه اتصل بالأمير عبد القادر ورافقه في رحلة إلى أوربا زار فيها ايطاليا و فرنسا والمغرب العربي حيث زار الجزائر و تونس و المغرب دامت ستة أشهر.ينظر: محمد بن ناصر العجمي، علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته و آثاره، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1996، ص- ص، 8- 14.

11- نفسه، ص 62 .

12- عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص- ص، 405- 406.

13- محمد علي دبوز، المرجعالسابق، ص- ص،108- 109.

14- المبشر، 26 ديسمبر 1896. نقلا عن: أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ص- ص،389- 390.

15- مجلة التلميذ، المصدر السابق، ص 12.

16- عبد القادر المجاوي: ابن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن داوود بن ابي حناش، ولد في تلمسان سنة 1948 وبها قرأ القرآن،وانتقل إلى تطوان لتلقي العلم علي يد أحمد النجار والشيخ الطيب اليعقوبي، ثم انتقل إلى فاس فدخل جامع القرويين وتتلمذ على يد العديد من مشايخ فاس،وأخذ منهم علوم النحو والتصريف والفقه وأصوله، ثم عاد إلى الجزائر 1869 واستقر في قسنطينة، وفي سنة 1873 عينته السلطات الفرنسية مدرسا بجامع سيدي الكتاني، وفي سنة 1877 عين للتدريس بالمدرسة، وبحلول سنة 1898 نقلته السلطات الفرنسية إلى الجزائر وعينته بالمدرسة العليا، كما منح الإمامة والخطابة بجامع سيدي رمضان وذلك سنة 1908، له العديد من المؤلفات نذكر البعض منها : ارشاد المتعلمين شرح شواهد بن هشام الاقتصاد السياسي توفي سنة 1913 في قسنطينة مع ثلاثة عشر عالم من علماء الجزائر سممتهم فرنسا مع قرب اندلاع الحرب العالمية الأولى خوفا من ثورتهم. ينظر: التقويم الجزائري، محمود كحول، مطبعة فونتانة، الجزائر، سنة 1911، ص- ص، 104- 107. أيضا ينظر: محمد علي دبوز، المرجعالسابق، ص- ص، 82- 105.

17 - محمد علي دبوز، المرجعالسابق، ص- ص، 109، 110.

[1]8 -نفسه، ص-ص،121- 122.

[1]9 - هذه الكتب هي : نور الايضاح ونجاة الأرواح لمؤلفه الشرنبلالي حسن بن عمار، مختصر القدوري في فقه الحنفي لمؤلفه أبي الحسن أحمد بن ممد القدوري، حاشية الطحطاوي لمؤلفه أحمد بن محمد الطحطاوي، وأيضا كتاب رد المحتار على الدر المختار لمؤلفه ابن عابدين الدمشقي الحنفي، وكتاب كتر الدقائق في الفقه الحنفي لمؤلفة أبي بركات النسفي .

20- عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي و الثقافي 1866- 1933، مجلة الأصالة، ع 13، ص-ص،205- 206.

21- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص-ص،95- 96.

22- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830 – 1900، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2007، ص- ص، 232-235.

23- محمد الخضر الحسين و آخرون، خمس رحلات إلى الجزائر 1904 – 1932، تحرير وتقديم: محمد صالح الجابري، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، دار السويدي – أبوظبي، 2004، ص- ص،35- 40.

24- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص- ص، 118– 120.

25- مجلة التلميذ، المصدر السابق، ص 12.

26- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 410.

27- أحمد بن محمد التجاني، دمعة على فقيد الجزائر المسلمة، مجلة التلميذ، ع 3 - 4، السنة الثانية، جانفي- فيفري 1933، ص-ص،13– 17.

28- أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص-ص، 145- 146.

29- عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح عبد الحليم بن سماية، المقالة السابقة، ص-ص، 200- 201.

30- عمر بن قدور الجزائري: هو الصحفي والمفكر الجزائر ولد سنة 1886 يعتبر من أوائل الصحفيين في الجزائر ومن روادها حيث نشط كثيرا في مجال الصحافة من كتابة مقالات أو تأسيس جرائد، وقد كتب في عدة جرائد سواء كانت جزائرية أو تونسية أو مصرية منها صحيفة الهلال والفاروق في الجزائر والذي يعتبر هو مؤسسها أو المشير في تونس واللواء في مصر ناقش العديد من القضايا السياسية والاجتماعية وتوفي سنة 1932. ينظر: عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة في الجزائر، ساحل عبد الحميد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، 2014، ص- ص، 09- 14.

31- عمر بن قدور الجزائري، الحضارة، الأستانة- تركيا، ع 70، 8 / 8 / 1911، نقلا عن: صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص-ص، 110- 116.

32- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 411.

33- محمد الخضر حسين وآخرون، المصدر السابق، ص-ص، 36- 40.

34- عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، السنة الأولى، ع 04، 21 أفريل 1903.

35- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية1900- 1930، ج2، ط 4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 109.

36- عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 407.

37- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده 1849- 1905، ج2، ط2، دار الفضيلة، القاهرة، 2006، ص- ص، 617- 618.

38- محمد رشيد رضا، قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام، مجلة المنار، السنة السادسة، مج 6، ج23، 1904، ص-ص،917-918.

39- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص-ص،414- 415.

40- عبد الحليم بن سماية، الفرق بين الصوفية والمتصوفة، كوكب افريقيا، 10 مارس 1911،

41- عبد الحليم بن سماية، الفرق بين الصوفية والمتصوفة، كوكب افريقيا، 17 مارس 1911.

42- عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، السنة الأولى، ع1، 10 أفريل 1903. أيضا: ع2، 14 أفريل1903.

43- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص-ص،25-26.

44- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 416.

45- محمد الخضر حسين و آخرون، المصدر السابق، ص 37.

46- عبد الحليم بن سماية، شرح الشيخ عبد الحليم بن سماية على مفهومة الشيخ المكي بن عزوز، مخطوط، المكتبة الوطنية الجزائرية.

47- عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص-ص،415- 416.

48- محمد علي دبوز، المرجعالسابق، ص 124.

49- مجلة التلميذ، صفحة من حياة شهيد العلم، المصدر السابق، ص13.

50- وبخلاف رأي عبد الرحمن الجيلالي الذي يقول أن الشيخ ألف رسالة ضد التجانية فتوجد العديد من المصادر التي تقول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية كان تجاني الطريقة ولكن ليس التجانية التي دعمت الاستعمار بل إنه لم يكن متعصبا لهذه الطريقة لأنه كانوا يدعوا إلى التجديد والاصلاح ومؤمن بمبادئ محمد عبده فهل يمكن أن الشيخ تخلى على هذه الطريقة نهائيا لذلك قام بتأليف هذه الرسالة.

51- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، المصدر السابق، ص 417.

52- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المصدر السابق، ص-ص،917- 918.

53- محمد علي دبوز،المرجعالسابق، ص 120.

54- نفسه، ص 122.

55- نفسه، ص 126.

56- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المصدر السابق، ص 417.

57- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص-ص،117-118.

58- عبد الرحمن الجيلالي، جوانب من كفاح عبد الحليم بن سماية، المقالة السابقة، ص-ص، 211- 212.

59- وفيات، مجلة الشهاب، مج 9 ، ج2 ، المطبعة الجزائرية الاسلامية ، قسنطينة ، فيفري 1933 ، ص 117.

60- أحمد بن محمد التجاني، دمعة على فقيد الجزائر المسلمة، المصدر السابق، مجلة التلميذ، ص- ص، 13-17.